**المحاضرة 4: علم الصّرف**

يصر كثير من الباحثين وعلماء اللغة على إطلاق مصطلح التصريف بدل مصطلح الصرف الذي شاع استعماله، وحتى أول كتاب ألّف في المجال جعله صاحبه موسوما بـ "التصريف" وليس الصرف.

**مفهوم التصريف:**

في اللغة يقال:صرّف الأمر: دبّره ووجّهه، ويقال: صرّف الله الرياح أي غير وجهتها.. تدل كلمة الصرف والتصريف في اللغة إذا على التغيير والتحويل من حال إلى حال.

أما اصطلاحا فتعددت التعاريف وإن كانت تلتقي في إشارتها إلى أن الصرف يهتم بالكلمة المفردة، ومما ورد عند القدامى: التصريف هو البحث عن أحوال الكلمة العربية وما قيس على أبنية كلام العرب - التصريف هو بناء كلمة لم تنطق العرب بها على مثال كلمة وردت عنهم.

**بداياتــه:**

ارتبط التصريف هو أيضا حسب الروايات التي وصلتنا باللحن اللغوي، فمنها ما روي أن رجلين اختصما إلى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحنان، فقال الحاجب: أوذيتما (الصحيح: آذيتما) أمير المؤمنين، فقال عمر: أنت والله أشد إلي منهما.

أما الواضع الأول لعلم التصريف فقد اختلف حوله، لكن نجد في عديد كتب القدامى إشارة إلى معاذ بن مسلم الهراء (ت 187ه) الكوفي أستاذ الكسائي بأنه هو من خط مسالكه، رغم أنه لم يترك أثرا بعده يثبت هذا الرأي، والمعلوم أن سيبويه قد ضم كتابه مسائل صرفية ما يعني أنه استفاد مثل النحو مما ورثه عن أساتذته، لهذا فالواضع الأول للتصريف العربي يبقى مجهولا على وجه الحسم.

**التأليف فيه عند القدامى**

كان القدامى في المراحل الأولى يخلطون بين النحو والصرف ولا يفصلون بينهما، والدليل على ذلك سيبويه إمام النحاة قد جمع بينهما في الكتاب وخلط بعض المباحث الصرفية بالمباحث النحوية في مواضع منه. وهذا ابن جني يقول: "إنك لا كاد تجد كتابا في النحو إلا والتصريف في آخره.." ويرون أن الأصل أن يبدأ اللغوي بمعرفة الصرف قبل النحو، لكن لما كان عويصا صعبا بدئ قبله بمعرفة النحو ليكون موطِّئا للدخول فيه، وقد أشار ابن عصفور الإشبيلي (ت 669ه) إلى تقديم النحو على الصرف في كتب القدماء وعلل ذلك بصعوبة علم الصرف. وقال: "وقد كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على غيره من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم من أنفسها من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله بعد التركيب، إلا أنه أخر للطفه ودقته..".

وقد اهتم الأوائل من علماء اللغة بإفراد الصرف بالتأليف، ويأتي على رأس هؤلاء أبو عثمان المازني (ت245ه) الذي وضع كتابا خاصا بالتصريف جمع فيه جملة من مسائله، وقدم ابن جني شرحا لهذا الكتاب سماه "المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني".

ومن الرسائل التي ألفت قبل هذا الكتاب في مسألة أو مسائل صرفية نذكر:

* الوقف والابتداء، التصغير، الجمع والإفراد لأبي جعفر الرؤاسي (ت 190 ه)
* المصادر للكسائي (ت 198 ه)
* المصادر للنضر بن شميل (ت 203 ه)
* الاشتقاق، الهمز، فعل وأفعل لقطرب (ت 206 ه)
* المذكر والمؤنث، الإدغام للفراء (ت 207 ه)

**موضوع علم الصرف:** يدرس نوعين من الكلمات:

* الأفعال المتصرفة: أي التي لها قابلية لأن نشتق منها الصيغ المختلفة
* الأسماء المتمكنة: أي الأسماء المعربة

لهذا يخرج من دائرة اهتمامه كلا من: الحروف - الأفعال الجامدة - الأسماء المبنية - الأسماء الأعجمية

**الصِّلة بين النّحو والصّرف:**

تتجلى هذه الصلة حين نعرف بأن الصيغة الصرفية في حالات تعين على الإعراب الصحيح للكلمات، فإذا سلمنا بأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل يسهل علينا أن نتفطن إلى إعراب مثل هذه الآية: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفةً" [البقرة: 30]، خليفة وردت منصوبة، هنا يأتي دور علم الصرف الذي يخبرنا بأن كلمة جاعل جاءت على وزن اسم الفاعل من فعل متعد لذا يصلح لأن يعمل عمل الفعل الذي أخذ منه ألا وهو (جعل)، فتصبح الكلمة خليفة مفعولا به.

**أهمّية علم الصرف:**

اتفق العلماء قديما إلى أن معرفة الصرف في الواقع أسبق من معرفة النحو لما له من شأن في التدرج من اللفظ إلى التركيب لاستعمال اللغة إنتاجا وتأويلا، ونجمل أهمية العلم في النقاط التالية:

* يعيننا على معرفة البنية الأصلية للكلمة في عدد حروفها وترتيبها وتحولها.
* يساهم في الكشف عن الوظائف النحوية للمفردات انطلاقا من صيغة العامي فيها.
* تحصيل دلالة من خلال الصيغة الصرفية للكلمة.
* التعرف على الكلمات العربية والأعجمية.
* إثراء الرصيد اللغوي.

**الظواهر الصرفية:**

التصريف مثلما اتفق هو تغيير في بنية الكلمة للحصول على أخرى لمعنى آخر، وقد تحدث بعض التغييرات في الشكل والصوت من خلال مظاهر الإعلال والإبدال والإدغام؛

1. الإعلال: هو ذلك التغيير بالقلب أو الحذف أو الإسكان الذي يعتري أحد حروف العلة الثلاثة (الألف، الواو، الياء) ومعها الهمزة. نقول مثلا: باع أصلها بيَع إذ قلبت الياء ألفا، أو كقولنا صائم أصلها صاوم إذ قلبت الواو همزة، وكذلك القول آمن أصلها أامن، فقلبت الألف الثانية همزة، والأمثلة كثيرة... يسميه بعض الصرفيين التخفيف نظرا لغايته لأنه تخفيف في النطق.

والإعلال في اللغة العربية ثلاثة أنواع:

* الإعلال بالقلب: أي قلب أحد حروف العلة أو الهمزة حرفا آخر من هذه الأحرف، مثل اهتداء أصلها اهتداي لأنها من الهداية فقلبت الياء همزة.
* الإعلال بالنقل أو التسكين: ويكون بتسكين حرف العلة المتحرك، بعد نقل حركته إلى الساكن الصحيح قبله، مثل باع أصلها يَبْيِع تصبح بعد الإعلال يبِيْعُ.
* الإعلال بالحذف: ويكون هذا النوع حين حذف حرف العلة للتخفيف أو التقاء ساكنين، مثل حذف الواو من مضارع وثق، وحذف واو يفوز في حالة الجزم بسبب التقاء الساكنين: لمْ يفزْ.

1. الإبدال: يراه بعض الصرفيين بأنه يقع في أي حرف من حروف الهجاء لذلك فهو أعم من الإعلال، أما جمهورهم فيرونه يختص بالتغيير الذي يعتري أي حرف بحيث يتحول إلى حرف صحيح سوى الهمزة، رفعا للبس واختلاط المفاهيم. مثل اصطبر على وزن افتعل فأصلها اصتبر فأبدلت التاء طاء لوقوعها بعد الصاد وهي من حروف الإطباق يناسبها أن يأتي حرف إطباق له مخرج التاء فكان الطاء. اتّعد على وزن افتعل أي أصلها اوْتَعد قلبت الواو تاء ثم أدغمت مع جنسها التي تلتها.
2. الإدغام: هو إدخال حرف ساكن في حرف متحرك من جنسه بلا فصل بينهما بحيث يصيران معا حرفا واحدا مشددا، مثل: مرّ أصلها مرْرَ.

**أهم مصطلحات علم الصرف:**

1. **الميزان الصرفي:** عبارة عن مقياس موحد من الحروف، يعرف به علماء الصرف عدد حروف الكلمة وترتيب تلك الحروف، وما فيها من أصول وزوائد وحركات وسكنات. وقد نظر علماء الصرف في المفردات فوجدوا أن الكلمات ثلاثية الأصول أكثر عددا وشيوعا في الاستعمال، لذلك جعلوا الميزان الصرفي عبارة عن مادة ثلاثية الأصول توزن بها جميع الكلمات، تلك المادة هي : ف ع ل. فوزن كلمة ذَهَبَ هو فَعَلَ، ووزن كلمة طَرِبَ هو فَعِلَ، ووزن كلمة شَمْسٌ هو فَعْلٌ... وهكذا.
2. **تصريف الأفعال:** يندرج تحته:

* الصحيح والمعتل من الأفعال: المعتل منها ما كان أحد حروفها الأصلية على الأقل حرف علة (الألف، الواو، الياء)، والصحيح غير ذلك.
* المجرّد والمزيد من الأفعال: المجرد ما كانت حروفه أصلية، والمزيد ما دخل عليه حروف الزيادة التي جمعها بعضهم في كلمة "سألتمونيها"
* معاني الأفعال المزيدة: كل زيادة في الفعل تستتبعها زيادة في المعنى أو تغيير له، (أفعل: زيادة الألف في مستهل الفعل له دلالات منها التعدية أي يصبح الفعل متعديا، مثل: أخرج)، (فعّل: الشدة في الفعل للتكثير مثل قتّل)، (فاعل: الألف في الوسط للمشاركة، مثل لاكم)، (استفعل: استـ من دلالاتها الطلب، مثل استخرج)، (تفعّل إضافة التاء وتشديد عين الفعل قد يفيد التكلف، مثل: تصبّر)...

1. **المصادر:** المصدر عند علماء اللغة اسم يدل على حدث مجردا من الزمان، مثل ضَرْبٌ مصدر للفعل ضَرَبَ. وللمصدر أنواع:

* المصدر الصريح: هو حدث مطلق غير مقترن بزمان (العمل، الأكل، الدراسة..)
* المصدر الميمي: مصدر يبدأ بميم زائدة، ويصاغ من الثلاثي على وزن (مَفعَل ومَفعِل) مثل (مشرَب، موقِف)
* المصدر المؤول: هو تركيب لغوي مكون من حرف مصدري (أنْ، أنّ، لو، كي، ما) تتبعه جملة فعلية أو اسمية، مثل: أن تصوموا خير لكم، فالتركيب (أن تصوموا) يمكن تأويله إلى مصدر صريح (صيامكم)
* مصدر المرة: مصدر للدلالة على وقوع الفعل مرة واحدة فقط، يصاغ من الثلاثي على وزن فَعْلَة ، ومن غير الثلاثي بإضافة تاء مربوطة في آخر المصدر الصريح (إكرامة)
* مصدر الهيئة: مصدر يدل على وقوع الحدث وعلى هيئة وقوعه، يصاغ من الثلاثي على وزن فِعْلَة.
* المصدر الصناعي: يصاغ بزيادة ياء مشددة وتاء تأنيث ساكنة في آخر اللفظ، مثل (قوميّة)

1. **المشتقات**:

الاسم المشتق هو الذي أخذ من غيره مع وجود تقارب بينهما في المعنى واتفاق في الحروف الأصلية، والمشتقات في اللغة العربية سبعة:

* اسم الفاعل: اسم مشتق يدل على من وقع منه الفعل، يشتق من الفعل الثلاثي على وزن فاعل (كتب: كاتب) ومن غير الثلاثي برده إلى المضارع وقلب حرف مضارعه ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر (تعلّم: مُتعلّم)
* اسم المفعول: اسم مشتق يدل على من وقع عليه الفعل، يصاغ من الثلاثي على وزن مفعول (فهم: مفهوم)، ومن غير الثلاثي برده إلى المضارع ثم قلب حرف مضارعه ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر (استخرج: مُستخرَج)
* صيغة المبالغة: صيغة تدل ما يدل عليه اسم الفاعل لكن للكثرة والمبالغة في الفعل، وتبنى صيغ المبالغة من الثلاثي المتعدي إلا صيغة (فعّال) فإنها تأتي من المتعدي واللازم. لها خمس صيغ قياسية: (فعّال: علّام)، (مِفعال: معطاء)، (فعول: غفور)، (فعيل: خبير)، (فعِل: حذر)
* الصفة المشبهة: اسم مشتق يدل على صفة ثابتة لصاحبها في كل الأزمنة ثبوتا عاما، وسميت صفة مشبهة لأنها تشبه اسم الفاعل في الاشتقاق، والدلالة على المعنى وصاحبه، وقبول التثنية والجمع والتذكير والتأنيث. تصاغ من الفعل الثلاثي اللازم. من أوزانها: فعلان مؤنثه فعلى، فعِل مؤنثه فعِلة، أفعل مؤنثه فعلاء، فعيل، فَعْل، فَعَل، فُعال، فَعال..

وتصاغ من غير الثلاثي كاسم الفاعل، ويميز بينها وبين اسم الفاعل أنا تدل على صفة ثابتة دائمة والسياق هو الذي يحدد.

* اسم التفضيل: اسم مشتق على وزن أفعل للدلالة على شيئين اشتركا في صفة، وزاد أحدهما على الآخر في الصفة. وله شروط للصياغة: أن يكون الفعل ثلاثيا فلا يجوز أن يشتق من غيره - أن يكون الفعل متصرفا - أن يكون الفعل قابلا للتفاوت - ألا يكون الفعل منفيا.
* اسما الزمان والمكان: اسم الزمان اسم مشتق يفيد الدلالة على زمن وقوع الفعل، واسم المكان مشتق للدلالة على مكان وقوع الفعل. يصاغ اسم الزمان كما اسم المكان من الثلاثي على وزن (مَفعَل أو مفعِل مثل: مذهَب - مجلِس )، ويصاغ من غير الثلاثي مثل اسم المفعول، والذي يميز بينهما هو الدلالة في السياق (اجتمع: مُجتمَع)
* اسم الآلة: اسم مشتق من الفعل الثلاثي المتعدي للدلالة على الأداة التي يحدث بها الفعل، لها ثلاث صيغ عند القدامى: (مِفعال: منشار)، (مِفْعل: مِبْرد)، (مِفعلة: مِكنسة).